سورة المدثر

مكية، وهي ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ لابس الدثار، وهو ما فوق الشعار: وهو الثوب الذي يلي الجسد. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «الأنصار شعار والناس دثار» (١٦٨١) وقيل: هي أوّل سورة نزلت. وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: «كنت على جبل حراء فنوديت: يا محمد، إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئًا، فنظرت فوقي فرأيت شيئًا» (١٦٨٢) وفي رواية عائشة: «فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض - يعني الملك الذي ناداه - فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني، فنزل جبريل وقال: «يا أيها المدثر» (١٦٨٣) وعن الزهري: أوّل ما نزل: سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواهق الجبال، فأتاه جبريل فقال: إنك نبيّ الله، فرجع إلى خديجة وقال: دثروني وصبوا عليّ ماء باردًا، فنزل: يا أيها المدثر (١٦٨٤). وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم، فتغطى/٢/٢٤٢ب بثوبه مفكرًا

١٦٨١ - تقدم في سورة آل عمران.

١٦٨٢ - أخرجه البخاري (٩/٦٨٢) كتاب التفسير باب قوله: «قم فانذر» حديث (٤٩٢٢، ٤٩٢٣) من طريق أبي سلمة عن جابر.
وقال ابن حجر: متفق عليه من رواية أبي سلمة عنه وأتم منه انتهى.

١٦٨٣ - قال الحافظ ابن حجر: لم أره عن عائشة وإنما هو قصة حديث جابر ولعل الزمخشري قصد بقوله: «وفي رواية عائشة لفظة منه وإلا فالجميع من حديث جابر رضي الله عنه». قلت: يوجد ما ذكره الزمخشري من رواية النعمان بن راشد عن الزهري، عن عروة عن عائشة عند الطبري انتهى.

١٦٨٤ - أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٠) من طريق ابن ثور عن معمر عن الزهري به.
وله شاهد من حديث عائشة أخرجه الحاكم (٢/٥٢٩).
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/١١٩).
ولا يعارض ذلك ما رواه مسلم في صحيحه، من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ فقلت أو: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ =

كما يفعل المغموم. فأمر أن لبا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه. وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول. من دثره. وقال: دثرت هذا الأمر وعصب بك، كما قال في المزمّل[1]: قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم ﴿فَأَنذِرْ﴾ فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا. والصحيح أنّ المعنى: فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ واختص ربك بالتكبير: وهو الوصف بالكبرياء؛ وأن يقال: الله أكبر. ويروىٰ: أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر» فكبرت خديجة وفرحت، وأيقنت أنه الوحي؛ وقد يحمل على تكبير الصلاة، ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل: وما كان فلا تدع تكبيره ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات؛ لأنّ طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها، وهي الأولى والأحب في غير الصلاة، وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثًا. وقيل: هو أمر بتقصيرها، ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرّهم الذيول، وذلك ما لا يؤمن معه إصابة النجاسات. وقيل: هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من العادات. يقال: فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل

= رَبِّكَ ﴾ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «إني جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري؛ نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت؛ فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء؛ فإذا هو على العرش في الهواء ـ يعني جبريل ـ فأخذتني رجفة؛ فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني، ثم صبوا عليّ الماء، وأنزل الله عليّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾». انتهى.

قال الواحدي في أسباب النزول: وذلك لأن جابرًا سمع آخر القصة ولم يسمع أولها، فتوهم أن سورة المدثر أول ما نزل وليس كذلك، ولكنها أول ما نزل عليه بعد سورة اقرأ، يدل عليه ما رواه البخاري ومسلم من طريق عبد الرزاق: أنا معمر، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئت منه رعبًا، فرجعت، فقلت: زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾». انتهى. قال: فظهر بهذا أن الوحي كان قد فتر بعد نزول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾، ثم نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ يوضحه قوله فيه: «إن الملك الذي جاء بحراء جالس»، فدل على أن هذه القصة كانت بعد نزول سورة اقرأ. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري من رواية محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال: كان أول شيء نزل على النبي ﷺ اقرأ ـ فذكره وأتم منه رواه الحاكم من طريق محمد بن سيرين عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: ومعنى تدثر: لبس الدثار، وهو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار الذي يلي الجسد، وفي الحديث: «الأنصار شعار والناس دثار»، وسيف داثر: بعيد العهد بالصقال، ومنه قيل للمنزل الدارس داثر، لذهاب أعلامه، وفلان دثر المال، أي حسن القيام به. انتهى. الدر المصون.

والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق. وفلان دنس الثياب للغادر؛ وذلك لأنّ الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه، فكنى به عنه. ألا ترى إلى قولهم: أعجبني زيد ثوبه، كما يقولون: أعجبني زيد عقله وخلقه، ويقولون: المجد في ثوبه، والكرم تحت حلته؛ ولأنّ الغالب أنّ من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته، وأبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهر في كل شيء «والرجز» قرئ بالكسر والضم، وهو العذاب، ومعناه: اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم. والمعنى: الثبات على هجره؛ لأنه كان بريئًا منه.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾

قرأ الحسن «ولا تمنّ» «وتستكثر» مرفوع منصوب المحل على الحال، أي: ولا تعط مستكثرًا رائيًا لما تعطيه كثيرًا، أو طالبًا للكثير: نهى عن الاستغزار: وهو أن يهب شيئًا وهو يطمع أن يتعوّض من الموهوب له أكثر من الموهوب، وهذا جائز. ومنه الحديث: «المستغزر يثاب من هبته» (١٦٨٥) وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون نهيًا خاصًا برسول الله ﷺ؛ لأنّ الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق، والثاني: أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته وقرأ الحسن «تستكثر» بالسكون. وفيه ثلاثة أوجه: الإبدال من تمنن. كأنه قيل: ولا تمنن لا تستكثر؛ على أنه من المنّ في قوله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٢] لأنّ من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره، أي: يراه كثيرًا ويعتدّ به، وأن يشبه ثرو بعضد، فيسكن تخفيفًا، وأن يعتبر حال الوقف. وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار «أن» كقوله [من الطويل]:

أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الْوَغَى ....[1]

وتؤيده قراءة ابن مسعود: ولا تمنن أن تستكثر ويجوز في الرفع أن تحذف «أن» ويبطل عملها، كما روي: أحضر الوغى بالرفع[2]، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ ولوجه الله

١٦٨٥ ـ تقدم في الروم من قول شريح القاضي وقال الحافظ تقدم في الروم من قول شريح انتهى.

---

(١) تقدم.

(٢) قال السمين الحلبي: وهذا لا يجوز أن يحمل القرآن عليه، لأن ذلك لا يجوز إلا في الشعر، ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الحال. قلت: قد سبقه مكي وغيره إلى هذا وأيضًا فقوله: في الشعر ممنوع. هؤلاء الكوفيون يجيزون ذلك، وأيضًا فقد قرأ الحسن والأعمش «تستكثر» نصبًا وهو على إضمار أن كقولهم: «مر يحفرها» وأبلغ من ذلك التصريح بأن في قراءة عبد الله، ولا تمنن أن تستكثر، وقرأ الحسن أيضًا وابن أبي عبلة «تستكثر» جزمًا. انتهى. الدر المصون.

فاستعمل الصبر. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: على أداء الفرائض. وعن النخعي: على عطيتك، كأنه وصله بما قبله، وجعله صبرًا على العطاء من غير استكثار، والوجه أن يكون أمرًا بنفس الفعل، وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه، ويراد الصبر على أذى الكفار؛ لأنه أحد ما يتناوله العام.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

والفاء في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ للتسبيب، كأنه قال: اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه. والفاء في ﴿فَذَٰلِكَ﴾ للجزاء فإن قلت: بم انتصب إذا، وكيف صح أن يقع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفًا ليوم عسير؟ قلت: انتصب إذا بما دلّ عليه الجزاء، لأنّ المعنى: فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين، والذي أجاز وقوع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفًا ليوم عسير: أنّ المعنى: فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير، لأنّ يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور. واختلف في أنها النفخة الأولى أم الثانية. ويجوز أن يكون يومئذ مبنيًا مرفوع المحل، بدلا من ﴿ذَٰلِكَ﴾ و﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر، كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير. فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ و﴿عَسِيرٌ﴾ مغن عنه؟ قلت: لما قال: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقصر العسر عليهم قال: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ليؤذن بأن لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرًا هينًا، ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرًا، كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَحِيدًا﴾ حال من الله عز وجل على معنيين، أحدهما: ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم. والثاني: خلقته وحدي/ ٢/ ٢٤٣أ لم يشركني في خلقه أحد. أو حال من المخلوق على معنى: خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد، كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد، ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية؛ فإن كان ملقبًا به قبل فهو تهكم به وبلقبه، وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه - من مدحه، والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدّمه في الدنيا - إلى وجه الذم

والعيب: وهو أنه خلق وحيدًا لا مال له ولا ولد، فآتاه الله ذلك، فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه ﴿مَّمْدُودًا﴾ مبسوطًا كثيرًا: أو ممدًا بالنماء، من مدّ النهر ومدّ نهره آخر. قيل: كان له الزرع والضرع والتجارة. وعن ابن عباس: هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال. وقيل: كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفًا وشتاء. وقيل: كان له ألف مثقال. وقيل: أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل: ألف ألف وعن ابن جريج: غلة شهر بشهر ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ حضورًا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة، لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم، فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم، وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم. ويجوز أن يكون معناه: أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل. أو تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه. وعن مجاهد: كان له عشرة بنين. وقيل: ثلاثة عشر. وقيل: سبعة كلهم رجال: الوليد بن الوليد، وخالد، وعمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس: أسلم منهم ثلاثة: خالد، وهشام، وعمارة ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه، فأتممت عليه نعمتي المال والجاه اجتماعهما: هو الكمال عند أهل الدنيا. ومنه قول الناس: أدام الله تأييدك وتمهيدك، يريدون: زيادة الجاه والحشمة. وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم؛ ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه[1]، يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة وقيل: إنه كان يقول: إن كان محمد صادقًا فما خلقت الجنة إلا لي ﴿كَلَّآ ﴾ ردع له وقطع لرجائه وطمعه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال: لم لا يزاد؟ فقيل: إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد، ويروى: أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نفصان من ماله حتى هلك ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد: وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعد الذي لا يطاق وعن النبي ﷺ: «يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت، فإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت، فإذا رفعها عادت» (١٦٨٦) وعنه عليه الصلاة والسلام: «الصّعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفًا ثم

١٦٨٦ ـ أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٥١٣) من طريق عمار الدهني عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ورواه مرفوعًا أيضًا البزار والطبراني في «الأوسط» كما في «تخريج الكشاف» =

---

(١) قال محمود: «دخلت ثم استبعادًا لطمعه وحرصه على الزيادة، واستنكارًا لذلك فرد الله طمعه خائبًا... إلخ» قال أحمد: لأن الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد إمعانه النظر: لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث.

يهوي فيه كذلك أبدًا» (١٦٨٧)، ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ تعليل للوعيد، كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى، والذّل بعد العزّ في الدنيا بعناده، ويعاقب في الآخرة بأشدّ العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره، وتسميته القرآن سحرًا. ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ ردًا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له؛ وإخبارًا بأنه من أشدّ أهل النار عذابًا، ويعلل ذلك بعناده، ويكون قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ بدلاً من قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ بيانًا لِكُنْهِ عناده. ومعناه ﴿فَكَّرَ﴾ ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقول وهيأه ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحزّ. ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش. أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم. ﴿قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره، واستعظامهم لقوله. ومعنى قول القائل: قتله الله ما أشجعه. وأخزاه الله ما أشعره: الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك. روي: أنّ الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى؛ فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم؛ فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزينًا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون، فهل رأيتموه يخنق؛ وتقولون/ ٢/ ٢٤٣ب إنه كاهن، فهل رأيتموه قط يتكهن؛ وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه

= للزيلعي (٤/ ١٢٠). وأخرجه أيضًا مرفوعًا.
الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨٢ ـ بتحقيقنا) ووهم الزيلعي فعزاه إليه موقوفًا. وأخرجه موقوفًا. الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٧) وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٤٢) والبغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٥).
والمرفوع ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عطية وهو ضعيف.
وقال الحافظ: أخرجه البزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب والطبري وابن أبي حاتم. كلهم من طريق شريك عن عمار الدهني عن عطية، عن أبي سعيد مرفوعًا. قال البزار: لا نعلمه رفعه إلا شريك. وبه جزم الطبراني. ورواه البزار والبيهقي من رواية ابن عيينة عن عمارة مرفوعًا. انتهى.

١٦٨٧ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٩) كتاب التفسير باب ومن سورة المدثر حديث (٣٣٢٦) من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٧) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به مرفوعًا. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛
وبهذا الإسناد أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٧) وكذا البيهقي في «البعث والنشور» (٥١٤).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من طريق أبي لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا انتهى. وقد رواه الحاكم والطبري والبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن الحارث عن دراج. ورواه ابن مردويه من رواية رشدين بن سعد عن دراج أيضًا انتهى.

يتعاطى شعرًا قط؛ وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئًا من الكذب، فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر. أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل، فارتجّ النادي فرحًا، وتفرّقوا معجبين بقوله متعجبين منه ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ في وجوه الناس[1]، ثم قطب وجهه[2]، ثم زحف مدبرًا، وتشاوس مستكبرًا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء، وهمّ بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط، استهزاء به. وقيل: قدرّ ما يقوله، ثم نظر فيه، ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول. وقيل: قطب في وجه رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عنه فقال ما قال. و﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ عطف على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والدعاء: اعتراض بينهما. فإن قلت: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾ الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلت: الدلالة على أن الكرّة الثانية أبلغ من الأولى. ونحوه قوله [من الطويل]:

أَلاَ يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّتَ اسْلَمِي ....[3]

فإن قلت: ما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها؟ قلت: الدلالة على أنه قد تأنّى في التأمّل وتمهل، وكأنّ بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد. فإن قلت: فلم قيل ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ بالفاء بعد عطف ما قبله بثم؟ قلت: لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث. فإن قلت: فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت: لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ بدل من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: ١٧]، ﴿لَا تُبْقِي﴾ شيئًا يلقى فيها إلا أهلكته؛ وإذا هلك لم تذره هالكًا حتى يعاد. أو لا تبقي على شيء، ولا تدعه من

(١) قوله: «ثم نظر في وجوه الناس، أي نظر بمؤخر عينه تكبرًا أو تغيظًا، كما في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «ثم قطب وجهه» في الصحاح: قطب وجهه تقطيبًا: عبس. وفيه أيضًا: عبس عبوسًا كلح، وبسر بسورًا: كلح. يقال: عبس وبسر اهـ. (ع)

(٣) ينظر: ديوان الحماسة: ٢/ ١٣٧، ابن يعيش: ٣/ ٣٩، والدر المصون: ٦/ ٤١٦.

الهلاك، بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ من لوح الهجير. قال [من الرجز]:

تَـقُـولُ: مَـا لاَحَـكَ يَـا مُـسَـافِـرُ؟ يَـا ٱبْـنَـةَ عَـمِّـي لاَحَـنِـي الْـهَـوَاجِـرُ[1]

قيل: تلفح الجلد لفحة فتدعه أشدّ سوادًا من الليل. والبشر: أعالي الجلود. وعن الحسن. تلوح للناس، كقوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٧] وقرئ: لوحة، نصبًا على الاختصاص للتهويل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكًا. وقيل: صنفًا من الملائكة. وقيل: صفة. وقيل: نقيبًا. وقرئ: تسعة عشر، بسكون العين لتوالي الحركات في ما هو في حكم اسم واحد وقرئ: تسعة أعشر جمع عشير، مثل: يمين وأيمن جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة، ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوم مَنْ خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمن هوادتهم، ولأنهم أشد الخلق بأسًا وأقواهم بطشًا. عن عمرو بن دينار: واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. وعن النبي ﷺ: «كأن أعينهم البرق، وكأن أفواههم الصياصي[2] (١٦٨٨) يجرون أشعارهم، لأحدهم مثل قوّة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمى بالجبل عليهم» وروي أنه لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أنّ خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش، أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي ما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون. فإن قلت: قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببًا[3] لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين

١٦٨٨ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢١): غريب وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده انتهى.

---

(١) لاحه الحر لوحًا: غيره وسوده. والهاجرة: شدة الحر. وأهجر القوم وهجروا بالتشديد وتهجروا: ساروا في الهاجرة، وفيه التفات كأنه خاطب غيرها أولاً. وعجبه من استفهامها عن الشيء الظاهر سببه وهو السفر، بل هي معترفة أنه مسافر كما قالت، ومن قساوة قلبها عليه، ثم التفت إليها بجواب سؤالها. وفي ندائها معنى التنبيه والإيقاظ والاستعطاف.
ينظر البيت في البحر: ٨/٣٦٨، روح المعاني ٢٩/١٥٧، والدر المصون: ٦/٤١٧.

(٢) قوله: «الصياصي» هي الحصون، واحدها صيصية. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قال محمود: «إن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببًا... إلخ» قال أحمد: ما جعل افتتانهم بالعدة سببًا لذلك، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببًا، لأن المراد: وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر، فوضع (فتنة للذين كفروا) موضع ذلك؛ لأن حال هذه العدة الناقصة واحدًا من العشرين؛ أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ولا يذعن، وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه =

واستهزاء الكافرين والمنافقين، فما وجه صحة ذلك؟ قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببًا لذلك، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببًا، وذلك أن المراد بقوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر، فوضع ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ موضع ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ لأن حال هذه العدة الناقصة واحدًا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزىء، ولا يذعن إذعان المؤمن، وإن خفى عليه وجه الحكمة، كأنه قيل ولقد جعلنا/ ٢/ ٢٤٤أ عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها، لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب، لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله، وازدياد المؤمنين إيمانًا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل، ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك. فإن قلت: لم قال ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ والاستيقان وازدياد الإيمان دالاً على انتفاء الارتياب؟ قلت: لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك. كان آكد وأبلغ لوصفهم(١) بسكون النفس وثلج الصدر، ولأن فيه تعريضًا بحال من عداهم، كأنه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر. فإن قلت: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون، والسورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، وإنما نجم بالمدينة؟ قلت: معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب، وذلك لا يخالف كون السورة مكية. ويجوز أن يراد بالمرض: الشك والارتياب، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب. فإن قلت: قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب قول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن الإستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين

= قيل: لقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب. قال أحمد: السائل جعل الفتنة التي هي في تقدير الصفة للعدة، إذ معنى الكلام ذات فتنة سببًا فيما بعدها، والمجيب جعل العدة التي عرضت لها هذه الصفة سببًا لا باعتبار عروض الصفة لها. ويجوز أن يكون (ليستيقن) راجعًا إلى ما قبل الاستثناء، كأنه قيل: جعلنا عدتهم سببًا لفتنة الكافرين وسببًا ليقين المؤمنين؛ وهذا الوجه أقرب مما ذكره الزمخشري؛ وإنما ألجأه إليه اعتقاد أن الله تعالى ما فتنهم ولكنهم فتنوا أنفسهم، بناء على قاعدة التبعيض في المشيئة وبئست القاعدة فاحذرها.

(١) قال محمود: «وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بعد قوله: (ليستيقن) ليحصل لهم فائدة الجمع بين إثبات اليقين... إلخ» قال أحمد: أطلق الغرض على الله عز وجل، مع أنه موهم ولم يرد فيه سماع. وأورده السؤال على قاعدته بعد ذلك كله في أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم، وإنما قالوا على خلاف ما أراد؛ وقد عرفت فساد القاعدة فأرح فكرك من هذا السؤال. فالكل مراد، وحسبك تتمة الآية: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

والكافرين غرضًا؟ قلت: أفادت اللام معنى العلة والسبب، ولا يجب في العلة أن تكون غرضًا، ألا ترى إلى قولك: خرجت من البلد لمخافة الشر، فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك. ﴿مَثَلًا﴾ تمييز لهذا، أو حال منه، كقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود: ٦٤]، فإن قلت: لم سموه مثلا؟ قلت: هو استعارة من المثل المضروب. لأنه مما غرب من الكلام وبدع، استغرابًا منهم لهذا العدد واستبداعًا له. والمعنى: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء، ومرادهم إنكاره من أصله، وأنه ليس من عند الله، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص. الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب، وذلك: إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين، يعني: يفعل فعلا حسنًا مبنيًا على الحكمة والصواب، فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانًا، وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرًا وضلالا ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ وما عليه كل جُنْدٍ من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص، وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة ﴿إِلَّا هُوَ﴾ ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة أو: وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو، فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها. وقيل: هو جواب لقول أبي جهل: أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر، ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض. وقوله: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي: وما سقر وصفتها إلا تذكرة ﴿لِلْبَشَرِ﴾ أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى، لأنهم لا يتذكرون، أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرًا. و«دبر» بمعنى أدبر[١]، كقبل بمعنى أقبل. ومنه صاروا كأمس الدابر. وقيل: هو من دبر الليل النهار إذا خلفه. وقرئ: «إذا أدبر» ﴿إِنَّهَا

(١) قوله: «ودبر بمعنى أدبر» يعني في قراءة: والليل إذ أدبر. وعبارة النسفي: والليل إذ أدبر: نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم إذا دبر. ودبر بمعنى أدبر. وقوله الآتي: وقرئ: إذ أدبر، يفيد أن قراءة «دبر» هي المشهورة. (ع)

﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ جواب القسم أو تعليل لكلا، والقسم معترض للتوكيد. والكبر: جمع الكبرى، جعلت ألف التأنيث كتائها[1]، فلما جمعت فعلة على فعل: جمعت فعلى عليها، ونظير ذلك: السوافي في جمع السافياء. والقواصع في جمع القاصعاء، كأنها جمع فاعلة، أي: لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر، ومعنى كونها إحداهنّ: أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها. كما تقول: هو أحد الرجال، وهي إحدى النساء و﴿نَذِيرًا﴾ تمييز من إحدى، على معنى: إنها لإحدى الدواهي إنذارًا، كما تقول: هي إحدى النساء عفافًا. وقيل هي حال. وقيل: هو متصل بأوّل السورة، يعني: قم نذيرًا، وهو من بدع التفاسير. وفي قراءة أبي: نذير بالرفع خبر بعد خبر «لأن» أو بحذف المبتدأ ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾/ ٢/ ٢٤٤ب في موضع الرفع بالابتداء. ولمن شاء: خبر مقدّم عليه، كقولك: لمن توضأ أن يصلي؛ ومعناه مطلق لمن شاء التقدّم أو التأخر أن يتقدّم أو يتأخر، والمراد بالتقدّم والتأخر: السبق إلى الخير والتخلف عنه: وهو كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ويجوز أن يكون ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدلاً من ﴿لِلْبَشَرِ﴾ على أنها منذرة للمكلفين الممكنين، الذين إن شاؤا تقدّموا ففازوا وإن شاؤا تأخروا فهلكوا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿رَهِينَةٌ﴾ ليست بتأنيث رهين[2] في قوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، لتأنيث النفس؛ لأنه لو قصدت الصفة لقيل: رهين، لأنّ فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن، كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن، ومنه بيت الحماسة [من الطويل]:

أَبَعْدَ ٱلَّذِي بِٱلنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ ... رَهِينَةِ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ؟[3]

---

(١) قوله: «جعلت ألف التأنيث كتائها» لعله كتائه. (ع)

(٢) قال محمود: «وليست بتأنيث رهين... إلخ» قال أحمد: لأنه فعيل بمعنى مفعول، يستوي مذكره ومؤنثه، كقتيل وجديد.

(٣) أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي تراب وجندل؟
أأذكر بالبقيا على من أصابني؟ ... وبقياي أني جاهد غير مؤتل

لمسور بن زيادة الحارثي. وقيل: لعبد الرحمن بن زيد، قتل أبوه زيادة فعرض عليه فيه سبع ديات، فأبى إلا الثأر. والاستفهام إنكاري. والنعف ـ بالفتح ـ: الجبل والمكان المرتفع. وقيل: ما يستقبلك من الجبل. وكويكب: جبل بعينه. وفي هذا الإبدال من التفصيل بعد الإجمال: ما ينبىء =

كأنه قال: رهن رمس. والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند بكسبها عند الله غير مفكوك ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم، كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق. وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال، لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها. وعن ابن عباس رضي الله عنه: هم الملائكة ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ أي هم في جنات لا يكتنه وصفها ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ يسأل بعضهم بعضًا عنهم[1]. أو يتساءلون غيرهم عنهم، كقولك: دعوته وتداعيناه. فإن قلت: كيف طابق قوله ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ وهو سؤال للمجرمين، قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ وهو سؤال عنهم؟ وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل: يتساءلون المجرمين ماسلككم قلت: ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم، وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم؛ لأنّ المسؤلين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين، فيقولون: قلنا لهم ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار، كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه، الخوض: الشروع في الباطل وما لا ينبغي فإن قلت: لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت: توبيخا لهم وتحسيرًا، وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للساميعن. وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال: أنهم[2] إنما سألوهم لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار. فإن قلت: أيريدون أنّ كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار، أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعًا.

= عن تفخيم المحل والحال، أي: أبعد قتل أبي المدفون في ذلك الموضع حال كونه محتبسًا في رمس. وقيل: رهينة بالجر، بدل من الذي؛ فهو اسم ملحق بالجوامد بمعنى الرهن. ويقال: رمست الشيء رمسًا إذا دفنته في التراب، فأطلق المصدر وأريد مكانه، وهو القبر. والجندل: الحجارة، وكررت همزة الاستفهام في قوله: «أأذكر» توكيدًا للأولى. لأنها داخلة على هذا الفعل تقديرًا أيضًا. ويحتمل أنها داخلة على مقدر، أي: أبعد أبي أفرح بالدية. وروي «أذكر» بالتشديد والبناء للمجهول، فالهمزة الأولى داخلة عليه، ولا شاهد فيه حينئذ. والبقيا: الإبقاء على الشيء، أي: لا أذكر بين الناس بأني أبقيت على قاتل أبي، والحال أن إبقائي عليه كوني جاهدًا ومصمم العزم على الفتك به غير حالف على ذلك؛ لأني لا أحتاج إلى الحلف في تنفيذ أموري. أو غير مقصر في الاجتهاد؛ لأن الائتلاء يجيء بمعنى الحلف وبمعنى التقصير.

ينظر: أساس البلاغة (دهن)، وديوان الحماسة ١/ ٩٠، والبحر: ٨/ ٣٧٩، والدر المصون ٦/ ٤٢١.

(١) قال محمود: «يتساءلون يعني يسأل بعضهم بعضا عنهم... إلخ» قال أحمد: إنما أورد السؤال ذريعة وحيلة لتحميل الآية الدلالة على أن فساق المسلمين تاركي الصلاة مثلاً، يسلكون في النار مخلدين مع الكفار، فجعل كل واحدة من الخلال الأربع توجب ما توجب الأخرى من الخلود. والصحيح في معنى الآية أنها خاصة بالكفار. ومعنى قولهم: (لم نك من المصلين): لم نك من أهل الصلاة، وكذلك إلى آخرها؛ لأنهم يكذبون بيوم الدين، والمكذب لا يصح منه طاعة من هذه الطاعات، ولو فعلها لم تنفعه وقدرت كالعدم، وإنما يتأسفون على ترك فعل هو نافع لهم.

(٢) قوله: «أنهم» لعله: بأنهم. (ع)

فإن قلت: لم أخر التكذيب وهو أعظمها؟ قلت: أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيمًا للتكذيب. كقوله ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧]، و﴿ٱلْيَقِينُ﴾ الموت ومقدماته، أي: لو شفع لهم الشافعون جميعًا من الملائكة والنبيين وغيرهم؛ لم تنفعهم شفاعتهم: لأنّ الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم. وفيه دليل على أنّ الشفاعة تنفع يومئذ؛ لأنها تزيد في درجات المرتضين.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ عن التذكير وهو العظة، يريد: القرآن أو غيره من المواعظ و﴿مُعْرِضِينَ﴾ نصب على الحال، كقولك: مالك قائمًا. والمستنفرة: الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه[1]. وقرئ بالفتح: وهي المنفرة المحمولة على النفار: والقسورة: جماعة الرماة الذين يتصيدونها. وقيل: الأسد يقال: ليوث قساور وهي فعولة من القسر: وهو القهر والغلبة، وفي وزنه «الحيدرة» من أسماء الأسد. وعن ابن عباس: ركز الناس وأصواتهم. وعن عكرمة: ظلمة الليل، شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه، بحمر جدّت في نفارها مما أفزعها. وفي تشبيههم بالحمر: مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين. كما في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب؛ ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدّة سيرها بالحمر، وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها أو كتبًا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد؛ وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان، نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية [الأنعام: ٧]. وقيل: قالوا إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة/ ٢/ ٢٤٥أ فيها براءته وأمنه من النار. وقيل: كانوا يقولون: بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبًا على رأسه ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك؛ وهذا من الصحف المنشرة بمعزل. إلا أن يراد بالصحف المنشرة:

---

(١) قوله: «في جمعها له وحملها عليه» متعلق بكأنها؛ لأنه وجه الشبه. (ع)

الكتابات الظاهرة المكشوفة. وقرأ سعيد بن جبير: «صحفا منشرة» بتخفيفهما، على أن أنشر الصحف ونشرها: واحد، كأنزله ونزله. ردعهم بقوله ﴿كَلَّا﴾ عن تلك الإرادة، وزجرهم عن اقتراح الآيات، ثم قال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف، ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال: ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني تذكرة بليغة كافية، مبهم أمرها في الكفاية ﴿فَمَن شَآءَ﴾ أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل، فإنّ نفع ذلك راجع إليه. والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ و﴿ذَكَرَهُۥ﴾ للتذكرة في قوله ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: ٤٩] وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني: إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه. لأنه مطبوع على قلوبهم. معلوم أنهم لا يؤمنون اختيارًا ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ هو حقيق بأن يتقيه عباده، ويخافوا عقابه، فيؤمنوا ويطيعوا، وحقيق بأن يغفر لهم إذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله ﷺ: «هو أهل أن يتقى، وأهل أن يغفر لمن اتقاه» (١٦٨٩) وقرئ «يذكرون» بالياء والتاء مخففًا ومشدّدًا.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة» (١٦٩٠).

١٦٨٩ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٠) كتاب التفسير باب ومن سورة المدثر حديث (٣٣٢٨) وابن ماجه (٢/ ١٤٣٧) كتاب الزهد: باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة حديث (٤٢٩٩) والدارمي (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) كتاب الرقاق باب في تقوى الله، وأحمد (٣/ ١٤٢، ٢٤٣) والحاكم (٢/ ٥٠٨) والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٤٥) والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٥٤) وأبو يعلى (٦/ ٦٦) رقم (٣٣١٧) كلهم من طريق سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب وسهيل ليس بالقوي في الحديث وقد تفرد بهذا الحديث عن ثابت.
وقال العقيلي: لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقد وهما في ذلك.
وللحديث شاهد من حديث ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة.
أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٢٢).
قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني في الأوسط وابن عدي والحاكم وأحمد وأبو يعلى والبزار كلهم من رواية سهل بن إبراهيم العطفي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية «قال الله تعالى: أنا أهل أن أتقى ـ إلى آخره» قال الترمذي والطبراني وابن عدي: تفرد به سهل. ورواه الحكيم الترمذي في السابع والسبعين بعد المائة، بلفظ «قال: هو أهل أن يتقى. فمن اتقى فهو أهل أن يغفر له» وله شاهد من رواية عبد الله قال سمعت ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ: أبا هريرة وابن عمر وابن عباس رضي الله عنه يقولون: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى فذكره. انتهى.

١٦٩٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة الموضوع على رسول الله ﷺ. وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.